الحلقة (٢)

بداية التأليف في هذا العلم على أقوال منها:

١- **القول الأول** كما يروى أن أبا الأسود الدؤلي استشار الإمام علي رضي الله عنه في أن يضع ضوابط للغة العربية نحوها وصرفها، بسبب فشو اللحن وانتشاره على ألسنة العرب بسبب الاختلاط بالأعاجم، فأيده الإمام علي، هذا السبب الأول.

٢- **القول الثاني** أن الإمام نفسه هو الذي وضع بعض هذه القواعد وقال لأبي الأسود انحُ هذا النحو، أي اتبع هذا المسلك وأكمل هذا التأليف على هذه الصورة الذي فصّل في الاسم والفعل والحرف.

٣- **القول الثالث** أن بداية هذا العلم كان على يد أربعة من العلماء هم نصر بن عاصم، عبد الرحمن بن هرمز، وعنبسة بن معدان الفيل ومعهم رابع، قالوا إنهم بدؤوا في التأليف على شذرات يسيرة في هذا العلم

٤- ومنهم من ينسب هذا العلم إلى صاحب العقل الخليل بن أحمد الفراهيدي –وأن هذا العلم يحتاج إلى مثل عقله– والحقيقة أن الخليل كان متأخرا، صحيح أنه هو واضع علم العروض، ولكنه سُبق، والأفضلية للسابق، ونحن نرى أن الواضع الحقيقي إنما هو أبو الأسود الدؤلي الدؤلي الذي رأى شيوع اللحن فاستشار الإمام علي أو زياد بن أبيه وبعض من يثق به فأيدوه على ذلك، ونصرح الآن أن النحو الذي بين أيدينا ليس هو النحو الذي في عهد أبو الأسود، ولكنه وضع بذرته وأن الفضل لله ثم لأبي الأسود.

ومما يجعلنا نؤيد هذا القول ما حصل معه من اللحن، وهو أن أبا الأسود كان مع ابنته على سقف أحد المنازل قالت: يا أبت ما أجملُ السماء، قال أبوها: نجومها، قالت أنا لست أسأل أنا أتعجب! فقال لها قولي إذن ما أجملَ، أي بفتح اللام هذه صورة.

ويقال أن أبو الأسود الدؤلي دخل على زياد بن أبيه وقال: **يا زياد نريد أن نضع علما يحفظ لسان العرب من اللحن والعوج، فنهره زياد وأخرجه من المجلس، وعند خروجه دخل عليه مجموعة وقالوا: توفي أبانا وترك بنون، وكان عليهم أن يقولوا توفي أبونا لأنه نائب فاعل، وترك بنين لأنه مفعول به، فقال أرجعوا أبا الأسود وسمح له بالشروع بهذا العلم.**

ومن صور اللحن التي سمعت في ذلك الوقت وكان سبباً قوياً ودافعاً للتأليف، أن أعرابيا دخل المدينة وسمع قارئا يقرأ (أن الله بريء من المشركين ورسولُهُ) قرأها ورسولِهِ بالكسر، قال الأعرابي وأنا أبرأ مما بريء الله منه. فاستدعاه عمر بن الخطاب وقال له ما كلام بلغني عنك؟ قال: سمعت القارئ يقول كذا وقلت كذا. فأمر عمر أن لا يقرأ القرآن إلا عالم بالعربية، فهذا اللحن وصل إلى القرآن.

ومر عمر رضي الله عنه على صبية وكانوا يرمون ويخطئون فأنبهم على خطئهم، قالوا يا أمير المؤمنين: إنا قوم متعلمين، قال عمر إن خطأكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رميكم.

ودخل أعرابي الكوفة وسمع المؤذن يقول (أشهد أن محمداً رسول الله) بفتح اللام في رسول، قال ويحك ما به! لأن رسول بالفتح صفة، ولم يأتِ بخبر أن. ولما شاع الخطأ واللحن وانتشر على الألسنة صار لابد من وضع هذا العلم.

بداية مدارس النحو: إنما كانت في البصرة واستمرت مائة عام ولم ينتقل النحو إلى الكوفة، وفي الكوفة كانوا يهتمون بنواحي أخرى مثل جمع الأخبار والأشعار وجمع النوادر، وأما البصريون سبقوهم في التأليف في هذا بنحو مائة سنة، ثم بعد هذا صار تعلم النحو وتعليمه بين المدرستين البصرية والكوفية، وهذا هو سبب التأليف فيه،

هذا والمؤلف الحقيقي لهذا العلم هو أبو الأسود الدؤلي.

الأصول التي اعتمدها النحويون حين ألفوا كتبهم النحوية:

كانت في البداية معلومات قليلة و يسيرة ولم يكن النحو مستقلا بنفسه بل كان مع غيره من العلوم الأخرى من أشعار وأخبار ونوادر وأمثال، وكان النحو كليمات يسيرة، فما الذي اعتمد عليه النحويون حين وضعوا قواعدهم النحوية؟

لقد اعتمدوا على:

١- القرآن الكريم بقراءاته

٢- حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وبخاصة من جاء بعد الطبقتين الأولى والثانية

٣- كلام العرب شعرا ونثرا

٤- القياس، قاسوا بعض الكلام على بعض، وهو قياس ما لم يُسمع على ما سُمع

٥- الإجماع

١- نتحدث عن القرآن الكريم:

إنك حين تقرأ في كتب النحويين تجد ما لا يحصى من الشواهد من القرآن الكريم وعلى سبيل المثال فإنه وجد في كتاب سيبويه وهو أول الكتب التي وصلت إلينا قد أحصيت ٤٧٠ آية استشهد بها سيبويه في مواضع متعددة.

ما الذي اعتمدوا عليه ؟ هل اعتمدوا على القراءات المتواترة فقط أم القراءات الشاذة!

يذكر السيوطي رحمه الله كلاماً جيدا في هذا المجال فيقول: "**لا أعلم مخالفا في صحة الاستشهاد بالقراءات القرآنية متواترها وشاذها على مسائل النحو واللغة**"، والسيوطي رحمه الله توفي عام٩١١هـوالسيوطي رحمه الله له عدد كبير من المؤلفات تربو على ٥٠٠ مؤلف ورسالة، هذا الرجل الذي يعطينا هذا الخبر، نعتد بكلامه لأن حكمه سيكون قويا يستشهد به.

◄ ما المراد بالقراءة المتواترة والقراءة الشاذة؟

ذكر ابن الجزري ثلاثة شروط للقراءة المتواترة:

١- صحة السند (من القارئ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم).

٢- موافقتها لرسم المصحف (المصحف العثماني).

٣- موافقتها للعربية أي قواعد العربية.

وإذا نقص شرط من هذه الشروط قالوا: فإن هذه القراءة تنتقل من كونها متواترة إلى كونها شاذة.

ومع ذلك نجد أن النحويين على اختلاف العصور قد استشهدوا بالقراءات متواترها وشاذها، صحيح أنه وجد من بعض النحويين وغير النحويين تلحين لبعض القراءات، يحكمون أن القراءة الفلانية لحن ولكنه قليل، وقد أحصاها بعضهم في بعض كتبهم ومن ذلك الكتاب العظيم جدا (دراسات لأسلوب القرآن الكريم) للشيخ محمد بن عبد الخالق عظيمة، وقد ذكر في مقدمة كتابه الذي يقع في ١١مجلدا لا يقل أحد هذه المجلدات عن ٥٠٠ صفحة، أنه ذكر سردا لمن لحّن في القراءات سواء أكان من النحويين أو اللغويين أو الأدباء أو من غيرهم وذكر المواطن التي لحنوا فيها القراءات ومع هذا يبقون قلة، وأن الغالبية العظمى يستشهدون بالقراءات متواترها وشاذها ولا يرون في ذلك غضاضة ولا عيبا.

٢- حديث الرسول صلى الله علية وسلم

الاستشهاد بحديث الرسول في كتب الأقدمين قليل، ولعل مما دفع إلى قلة الاستشهاد بحديث الرسول في كتب الأقدمين يمكن أن ترد إلى عدة أمور وهي أربعة أمور :

١- **يجوز رواية الحديث بالمعنى**، أما القرآن لا يجوز، واشترطوا إجازة الحديث بالمعنى أن يكون الذي يروي الحديث بالمعنى

عالما باللغة، ويعرف ما يحيل المعنى وما يغيره وما يقلبه وإلا فلا يجوز روايته بالمعنى.

٢- **دخل الأعاجم في رواية الحديث**، ونحن إنما ألفنا النحو لأن الأعاجم هم الذين أفسدوا الألسنة. والرد على تلك الحجة، أن هذا الأعجمي سيكون أشد حرصا على أداء لفظ الرسول صلى الله عليه وسلم نصا لأنه أعجمي و يخاف أن يقع في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار) فإن روى الحديث بغير ما قاله الرسول صلى الله عيه وسلم فقد كذب عليه، فسيكون أشد حرصا من العربي نصا دون أن يحرف فيه قليلا أو كثيرا.

٣- يقولون إن من أسباب قلة الاستشهاد بالحديث **أنه دخل في الحديث ما سمي بالإدراج** وهو أن جزء من الحديث للرسول، ويأتي الصحابي أو التابعي فيدرج شيئا لبيان أو للتنبيه على شيء في الحديث مثل (إن أمتي يبعثون يوم القيامة غرلاً محجلين من آثار الوضوء) إلى هنا انتهى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، وزاد أبو هريرة (فمن استطاع أن يطيل غرته فليفعل).

والرد على هذه الحجة من هو المُدرج ؟ واحد من اثنين إما صحابي أو تابعي، والصحابي حجة يحتج بكلامه، والتابعي حجة يحتج بكلامه.

٤- الحجة الرابعة لقلة الاستشهاد بالحديث: **وهو وجود أحاديث موضوعة**. نقول هذه ليست أحاديث ولايستشهد بها.

٣- الاستشهاد بكلام العرب شعرا ونثرا: اعلموا أنهم حدود للاستشهاد بكلام العرب شعرا ونثر إلى حدود سنة ١٥٠ من هجرة الرسول في الحاضرة و٢٥٠هـ في البادية لقلة اختلاطهم بالأعاجم.

٤- القياس: يكون عندك نص من كلام العرب لقاعدة معينة، ويكون عندك نص آخر ليس من كلام العرب الذين اعتمدنا كلامهم، ليس من القرآن أو الحديث أو كلام العرب، فنقيس النص الذي لم يُسمع على المسموع من كلام العرب.

٥- الإجماع: اتفاق المدرستين البصرية والكوفية على مسألة نحوية يعدونه إجماعا نحويا.